OPEN ACCESS

Received: 30/05/2025

Accepted: 03/07/2025

مجلة الآداب

The Objective of Obedience to the Prophet (PBUH) in the Noble Qur'an: Methods and Fruitful Outcomes

Dr. Abdullah Bin Salim Bin Yaslam Ba Faraj*

Dr.a.bafarj@hotmail.com

Abstract:

This study examines the Qur'an's objective in mandating obedience to the Prophet (PBUH). It aims to elucidate this divine objective, enumerate occurrences of the obedience commandment (found 33 times across 15 surahs). It also seeks to identify the rhetorical/legislative methods the Qur'an employs, highlighting its virtuous fruitful outcomes, and contextualizing it within contemporary Muslim society. Employing a descriptive methodology combining inductive analysis and critical examination of relevant Qur'anic verses, the study attributes verses to their chapters with numbering, verifies cited hadiths (assessing authenticity where not in the two Sahih Hadith collections), references classical exegetes' interpretations, extracts nuanced insights and meticulously documents sources. Structured into an introduction, two sections, and a conclusion, the study, in section one, defines obedience to the Prophet (PBUH) as compliance with his commands, abstention from his prohibitions, and devotion to him. Section two analyzes the Qur'an's methodological approaches to achieving this obedience and its resultant fruitful outcomes. Key findings showed that obedience entails compliance, abstention from prohibitions, and devotion. The commandment appears 33 times in 15 surahs.

Keywords: Obedience to the Prophet, Degrees of Obedience, Refraining from Prohibitions, Devotion to the Prophet.

* Professor of Quran Interpretation Sciences, Department of Qur'an and Sunnah, Faculty of Da'wah and Religion Foundations, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.

Cite this article as: Ba Faraj, A. S. Y. (2025). The Objective of Obedience to the Prophet (PBUH) in the Noble Qur'an: Methods and Fruitful Outcomes, *Journal of Arts, 13*(3), 754- 783. https://doi.org/10.35696/joa.v13i3.2751

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 30/ 05/ 2025
تاريخ القبول: 03/ 07/ 2025

مجلة الآداب

مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم: الأساليب والثمار

د. عبدالله بن سالم بن يسلم بافرج*
Dr.a.bafarj@hotmail.com

الملخص:

سيحقق البحث عدة أهداف هي: بيان مقصد القرآن الكريم في بيان طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر عدد مرات ورود الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، ومعرفة الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في تحقيق ذلك المقصد، وإبراز ثماره الطيبة، وربط الموضوع بواقع الأمة المسلمة المعاصر. واعتمد البحث المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للآيات الكريمة التي تتحدث عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها، وتخريج الأحاديث التي ورد ذكرها، وذكرت أقوال أهل العلم في بيان درجتها؛ إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، ونقل أقوال المفسرين رحمهم الله حول الآيات موضع الدراسة، وذكر اللطائف والهدايات من الآيات، وتوثيق النصوص التي أنقلها، توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية، وانتظم البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، المبحث الأول: معنى مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وثماره، ومن أهم النتائج: أنه يراد بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم الائتمار بما أمر به والكف عما نهى عنه، والانقياد له صلى الله عليه وسلم، وورد الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة.

الكلمات المفتاحية: طاعة النبي، مقاصد الطاعة، الكف عن النواهي، الانقياد للنبي.

* أستاذ التفسير وعلومه، قسم الكتاب والسنة- كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية..

للاقتباس: بافرج، ع. س. (2025). مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم: الأساليب والثمار، *مجلة الآداب*، *13* (3)، 754- 783. https://doi.org/10.35696/joa.v13i3.2751

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة (Attribution 4.0 International (CC BY 4.0، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة

الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد؛ فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الكثيرَ من الآيات التي تدلُّ على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ونوَّع فيها بحيث لم تكن الدلالة مقتصرة على وجهٍ واحد، وكرَّر ذلك في مواطن كثيرة من القرآن الكريم؛ وكل ذلك ليبين الله سبحانه وتعالى لنا بوضوح أنَّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يجب علينا الأخذ به، سواء كان تفسيرًا للقرآن وتبيينًا له وتوضيحًا لمعانيه وغوامضه، أو تفصيلًا لمجمله، أو تقييدا لمطلقه، أو تخصيصًا لعامّه؛ فهو الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم أرسله الله ليكون منارة هدى للبشرية إلى يوم القيامة؛ ولذلك كانت أقواله وأفعاله وتقريراته تشريعات إلى يوم الدين.

ألا وإن من أهم الواجبات على أهل العلم أن يبينوا مقصدا من أعظم مقاصد القرآن الكريم وأجلاها وأوضحها، ألا وهو طاعته عليه الصلاة والسلام؛ فكان هذا البحث المتواضع حول هذا الموضوع المهم والجدير بالبحث والإيضاح والإشهار لعموم الناس، وعنونت له بـ **(مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم "الأساليب والثمار")**.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

يعالج البحث مشكلة عظيمة، وهي مشكلة عقديه قديمة متجددة، وكان ذلك من خلال عدة تساؤلات؛ هي:

1- كم مرة ورد الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم؟

2-ما هي الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في تحقيق ذلك المقصد؟

3-ما هي الثمار التي يجنيها العبد من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهل الثمار دنيوية؟ أم أخروية؟ أم في الدارين؟

وتمت الإجابة على تلك التساؤلات من خلال هذا البحث.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث من عدة جوانب منها:

1-أن هذا البحث يستمد أهميته من تعلقه بمقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم.

2-معرفة معنى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

3-دراسة أساليب القرآن الكريم لتحقيق ذلك.

4-إبراز ثمار طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدارين

أهداف البحث:

يهدف البحث لعدة أمور هي:

1-بيان مقصد القرآن الكريم في بيان طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

2-ذكر عدد مرات ورود الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

3-معرفة الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

4-إبراز الثمار الطيبة التي يجنيها العبد من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات تناولت الموضوع، وكان الهدف من كل دراسة مختلفا عن الآخر، وإن كان الجميع يتحدث عن الطاعة في القرآن الكريم على وجه العموم؛ كطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعة الأنبياء عليهم السلام، وطاعة أولي الأمر، والطاعة بين الزوجين، ومن تلك الدراسات:

1-رسالة ماجستير بعنوان: (الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم)، للباحث: عبد العزيز بن محمد السحيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1998م.

2-رسالة ماجستير بعنوان: (الطاعة في القرآن الكريم دراسة تحليلية)، للباحث: صلاح الدين محمد أحمد، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، 1999م.

3-بحث بعنوان: (الطاعة وأثرها في ضوء في القرآن الكريم)، للدكتور: شعبان رمضان محمود، نشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، 2005م.

4-رسالة ماجستير بعنوان: (منظومة الطاعة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية)، للباحثة: آسيا حماد، جامعة النيلين، السودان، 1431هـ.

5-بحث بعنوان: (الطاعة في القرآن: معانيها ودلالاتها)، للدكتور: عثمان المهدي صديق، نشر في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، 2017م.

غير أن تلك الدراسات لم تتعرض للأساليب التي تبين أمر الله تعالى في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص.

مما سبق يتبين أن موضوع دراستي جدير بالبحث والدراسة؛ حيث الإضافة العلمية حول ما يتعلق بـ (مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم "الأساليب والثمار")، وهو مما لم تتعرض له الدراسات السابقة.

منهج البحث:

1- الاعتماد في البحث بعد الله تعالى على طريقة المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للآيات الكريمة التي تتحدث عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

2- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها.

3- تخريج الأحاديث التي ورد ذكرها، وذكرت أقوال أهل العلم في بيان درجتها؛ إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

4-نقل أقوال المفسرين رحمهم الله حول الآيات موضع الدراسة، وذكر اللطائف والهدايات من الآيات.

5- توثيق النصوص التي أنقلها توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية، ما أمكنني ذلك.

6-وضع خاتمة للبحث تبين أهم النتائج والتوصيات.

8- تذيل البحث بفهرس للمراجع.

خطة البحث:

انتظم البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، وخطته كالتالي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: معنى مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وثماره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساليب القرآن الكريم في تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: ثمار تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع.

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

المبحث الأول: معنى مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مقصد: مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد، ومن معانيه إتيان شيء وأَمُّه[1]، والقصد: استقامة الطريق، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[2].

طاعة: من طوع، وهو أصل صحيح واحد يدل على الانقياد[3]، ويضاده الكره قال عز وجل: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران: 83]، يقال: طاعه يطوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى طاع له[4]، والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر[5]، وَالتَّاء فِي الطَّاعَة لَيست للمرة، بل للدلالة على الْكَثْرَة، أَو لنقل الصّفة إِلَى الاسمية[6]، وَالطَّاعَة شرعا: هِيَ فعل الْمَأْمُورَات وَلَو ندبا، وَترك المنهيات وَلَو كَرَاهَة.[7]

الأساليب: الفنون المختلفة، واحدها أسلوبٌ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه.[8]

الثمار: من ثمر، وهو أصل واحد، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، والثمر اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة، والجمع: ثمار وثمرات[9]، وجمع الجمع ثُمُر بضمتين؛ ثم يخفف جوازًا بتسكين ثانيه.[10]

ويحمل عليه غيره استعارة؛ فيكنى به عن المال المستفاد، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء: ثمرة؛ كقولك: ثمرة العلم العمل الصالح، وثمرة العمل الصالح الفوز بالحسنى والنجاة من النار[11]، والولد: ثمرة القلب، وفي الحديث قال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ" الحديث.[12]

فالمراد بــ (مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم "الأساليب والثمار"): إيضاح الطريق المستقيم في الائتمار بما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، والانقياد له، وما يجنيه العبد من ذلك، بالبراهين والأدلة الساطعة.

فقولي: (إيضاح الطريق المستقيم): المراد به الأساليب التي جاء بها القرآن الكريم في الدعوة إلى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقولي: (وما يجنيه العبد من ذلك): ذكر الثمار المستفادة من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدارين.

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وثماره

عرض القرآن الكريم مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أساليب متنوعة، وبيّن الثمار الكثيرة واليانعة لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدارين؛ كل ذلك ليجلي لنا الله تعالى أهمية ووجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وسأذكر تلك الأساليب وتلك الثمار في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أساليب القرآن في تحقيق مقصد طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

الآيات الواردة في الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم، وهي كثيرة جدا، وهو أمر التفت إليه أهل العلم رحمهم الله تعالى، وسطروه في كتبهم، ومن ذلك قول الإمام أَحْمَدَ بْن حَنْبَلٍ رحمه الله: (نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وَجَعَلَ يُكَرِّرُهَا، وَيَقُولُ: وَمَا الْفِتْنَةُ؟ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فَيُهْلِكَهُ، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: 65])، وَقَالَ أيضا: (مَنْ رَدَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ).[13]

وقال الإمام الآجري رحمه الله: (فرض على الخلق طاعته صلى الله عليه وسلم في نيف وثلاثين موضعا من كتابه عز وجل)[14]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد أمر الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه؛ فلا يذكر الله إلا ذكر معه).[15]

والآيات الواردة في تحقيق مقصد طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم تنوعت أساليبها، وتعددت صيغها مع اتحادها جميعها في الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله عز وجل، وسوف أعرض لهذه الآيات بعد تقسيمها على حسب ما تحدثت عنه؛ فمن تلك الأساليب:

أولًا: إعادة الأمر بالطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم:

جاء هذا في خمسة مواضع؛ هي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: 59]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: 92]، وقوله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور: 54]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: 33]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾ [التغابن: 12].

ففي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59]، أمر من الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وفي طاعة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى؛ وذلك لأن طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لأمر الله.[16]

وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته فيما أمر ونهى، وبعد وفاته في اتباع سنته؛ وذلك أن الله عم بالأمر بطاعته ولم يخصص ذلك في حال دون حال، فهو على العموم حتى يخص ذلك ما يجب التسليم.[17]

والظاهر والله أعلم أن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء، كما قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي".[18]

ولا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم لأولي الأمر من الأمراء والعلماء والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[19]؛ فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[20]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ".[21]

و(أعيد فعل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ مع أن حرف العطف يغني عن إعادته؛ إظهارا للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول، لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولينبه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي؛ لئلا يتوهم السامع أن طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع، فإن امتثال أمره كله خير)[22]، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.[23]

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ معنى التنازع: أن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها، والرد إلى الله: هو النظر في كتابه العزيز، والرد إلى الرسول: هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة والسدي، وهو الصحيح.[24]

فأمر الله تعالى صراحة برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله تعالى وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام[25]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:10]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وشهدا له بالصحة فهو الحق[26]؛ فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾؛ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت[27]، وخاطبهم بـ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ وهم قد كانوا آمنوا على جهة التقرير؛ ليتأكد الإلزام.[28]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الرد إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتحاكم إليهما، والرجوع في فصل النزاع إليهما ﴿خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.[29]

ثانيًا: الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم منفردا:

جاء هذا في موضع واحد؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: 56].

يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين خاصة فيأمرهم بعدة أمور؛ منها طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر ما أمر به ونهى عنه[30]، و(الطاعة المأمور بها هنا غير الطاعة التي في قوله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور: 54]، إلخ؛ لأن تلك دعوة للمعرضين وهذه ازدياد للمؤمنين)[31]، (ولا يبعد عطف ذلك على قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور: 54]، فإن الفاصل وعد على المأمور به، فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد).[32]

(وقد جمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحات؛ فأهمها بالتصريح، وسائرها بعموم حذف المتعلق بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي في كل ما يأمركم وينهاكم).[33]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من عطف العام على الخاص؛ وهو من الإطناب المقبول، إذا كان في الخاص مزية ليست في غيره من أفراد العام.[34]

ثالثًا: جعل الله تعالى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واحدة:

جاء هذا في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 20]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 46]، وقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13].

والمعنى: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء(35)، فالإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، ومن نقصت طاعته لله ورسوله؛ فذلك لنقص إيمانه[36]، والأمر عام في كل ما أمر الله تعالى به ورسوله.[37]

رابعًا: جاء لفظ الرسول معرفا بالألف واللام، ومظهرا دون ضمير عائد إلى الله تعالى، مما يدل على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به قرآنًا أو غيره:

جاء هذا في موضعين من سورة آل عمران؛ الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]، فـأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله لكل أحد من خاص وعام[38]، وهذه الآية توكيد لقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ الآية [آل عمران ٣١][39]، وإيثار الإظهار على الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولَ ۖ﴾ بطريق الالتفات؛ لتعيين حيثية الطاعة، والإشعار بعليتها[40]، فأوجب الله علينا متابعته لكونه رسولا من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يحتمل أن يكون: ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ ماضيا، ويحتمل أن يكون مضارعا حذفت منه التاء، أي: فإن تتولوا، والمعنى: فإن تولوا عما أمروا به وأعرضوا عن اتباعه وطاعته؛ فإنه لا يحصل لهم محبة الله، لأنه تعالى إنما أوجب الثناء والمدح لمن أطاعه، وجعل من لم يتبعه ولم يطعه كافرا، مستوجبا الذلة والإهانة، وذلك ضد المحبة، وتقييد انتفاء محبة الله بهذا الوصف الذي هو الكفر مشعر بالعليّة، فالمؤمن العاصي لا يندرج في ذلك، والله أعلم.[41]

فـ (هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"[42]).[43]

ويؤخذ من الآية الكريمة:

1-أنه لما كان مُبلّغ التكاليف عن الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لزم أن تكون طاعته واجبة فكان إيجاب المتابعة لهذا المعنى.[44]

2-أن في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ دليلا على أن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك.[45]

4-في هذه الآية الكريمة بيان وتفسير لاتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي[46]، وطاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة.[47]

والموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132].

خامسًا: الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتأسي به:

جاء هذا في أربعة مواضع؛ الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

قال الحسن البصري رحمه الله: (قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إنا لنحب ربنا، فأنزل الله جل وعز بذلك قرآنا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلَمًا لحبه وعذاب من خالفه).[48]

فهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، وثمراتها، والمعنى: قُلْ يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ إن ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة، فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها؛ فكونوا منقادين لأوامره

مطيعين له، وعلامة الصدق ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾؛ وصيغة الأمر في قوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ للوجوب[49]، وتعليق لزوم اتباع الرسول على محبة الله تعالى؛ لأن الرسول دعا إلى ما يأمر الله به، وإلى إفراد الوجهة إليه، وذلك كمال المحبة، ولأنه ثبتت نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة، والمعجزات الباهرة؛ فوجب على كافة الخلق متابعته والتأسي به في فعله صلى الله عليه وسلم؛ فإن اتباعه من محبة الله تعالى وطاعته، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، ومحبة ما يسره ويرضيه، واجتناب ما يغضبه؛ دليل على صدق دعوة محبة الله تعالى، والحب المزعوم إذا لم يكن معه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهو حب كاذب، لأن المحب لمن يحب مطيع، ولأن ارتكاب ما يكرهه المحبوب إغاضة له وتلبس بعدوه، وثمرة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، ومن أحبه الله غفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فلما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.[50]

فـ (رتب تعالى على محبتهم له واتباع رسوله محبته لهم، وذلك أن الطريق الموصل إلى رضاه تعالى إنما هو مستفاد من نبيه، فإنه هو المبين عن الله، إذ لا يهتدي لعقل إلى معرفة أحكام الله في العبادات، ولا في غيرها، بل رسوله صلى الله عليه وسلم هو الموضح لذلك، فكان اتباعه فيما أتى به احتماء لمن يحب أن يعمل بطاعة الله تعالى).[51]

وجملة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لم يذكر متعلق للصفتين ليكون الناس ساعين في تحصيل أسباب المغفرة والرحمة.[52]

ويؤخذ من الآية الكريمة:

1-أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم موجب لمحبة الله جل وعلا لذلك المتبع، وذلك يدل على أن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7].

2-أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر؛ إذ لو كان محبا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة، ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع.[53]

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

فقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمر الله تعالى بالإيمان به وبرسوله؛ إيمانا في القلب، متضمنا لأعمال القلوب والجوارح، وذلك هو الاعتقاد، ووصف نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ وهو الذي وعدت وبشرت به الكتب المتقدمة، فإنه منعوت بذلك فيها؛ ولهذا قال: ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: يصدق قوله عمله، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه، وأمر باتباعه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به؛ وهو لفظ يدخل تحته جميع التزامات الشريعة؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثره، وجاء الأمر بالاتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيدا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفرد الاتباع بالذكر مع دخوله في الإيمان تنبيها على أهميته وعظيم منزلته، وعلق رجاء الهداية

باتباعه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى الصراط المستقيم، الذي فيه مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالا بعيدا.[54]

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

الظاهر أن الخطاب في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ للمؤمنين، لقوله قبل: ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]، وقوله بعد: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].[55]

وقوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قرأ الجمهور: إسوة بكسر الهمزة، وعاصم بضمها، وهما لغتان[56]، والأسوة فُعْلَةٌ مِنَ الِائْتِسَاءِ، كَالْقُدْوَةِ مِنَ الِاقْتِدَاءِ، اسْمٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، والأسوة ما يتأسى به؛ فيقتدى به في جميع أقواله وأفعاله.[57]

و(حرف ﴿فِي﴾ جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة؛ إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذاتين، فالأصل: رسول الله إسوة، فقال: ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول صلى الله عليه وسلم دون وصف خاص؛ ليشمل الائتساء به في أقواله؛ بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله؛ من الصبر والشجاعة والثبات).[58]

والأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل عليهم السلام للتأسّي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].[59]

والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم لكم فيه أسوة حسنة، لا يسلكها ويوفق لها، إلا من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم.[60]

و(هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل).[61]

واستدل الأصوليون بهذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم عموما، وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به كنكاح ما فوق أربع نسوة.[62]

وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه الأسوة الحسنة المطلقة لا محالة.[63]

وقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾، بدل من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ بدل بعض من كل، أو شبه الاشتمال؛ لأن المخاطبين بضمير ﴿لَكُمْ﴾ يشتملون على من يرجون الله واليوم الآخر، أو هو بدل مطابق إن كان المراد بضمير ﴿لَكُمْ﴾ خصوص المؤمنين، وفي إعادة اللام في البدل تكثير للمعاني المذكورة بكثرة الاحتمالات، وكل يأخذ حظه منها؛ فالذين ائتسوا بالرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ثبت لهم أنهم ممن يرجون الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، وفيه تعريض بفريق من الذين صدهم عن الائتساء به ممن كانوا منافقين أو في قلوبهم مرض من الشك في الدين[64]، (ورجاء اليوم الآخر ثمرة العمل الصالح، ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

كَثِيرًا﴾ من خير الأعمال، فنبه عليه)[65]، وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة، فإن المؤتسي بالرسول صلى الله عليه وسلم من كان كذلك.[66]

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام؛ فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، فمهما أمر به فإنه يفعل، ومهما نهى عن شيء فهو يجتنب؛ لأنه يأمر بخير وينهى عن شر، فهي آية عامة جامعة للأمر باتباع ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل؛ فيندرج فيها جميع أدلة السنة، حتى أنه قد استدل بهذا العموم على تحريم الخمر، وحكم الواشمة والمستوشمة، وتحريم المخيط للمحرم.[67]

وفي الآية (دلالة على تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء، لأنا حين أمرنا بالاقتداء به؛ أمرنا أمرا مطلقا في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، وحين أمرنا بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام استثنى بعض أفعاله).[68]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (فيه تهديد شديد لمن لم يعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا سيما إن كان يظن أن أقوال الرجال تكفي عنها).[69]

سادسًا: نفي الإيمان عمن لم يذعن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجد في نفسه حرجا من ذلك باطنا، ويسلم ظاهرا:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65].

أكد الله سبحانه وتعالى نفي الإيمان عمن لم يذعن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجد في نفسه حرجا من ذلك باطنا، ويسلم ظاهرا، بعدة أمور لفظة ومعنوية؛ هي:

أولا: تصدير الآية بالنفي؛ ﴿فَلَا﴾.

ثانيا: القسم؛ ﴿وَرَبِّكَ﴾.

ثالثا: إقسام الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة لا بشيء من مخلوقاته؛ ﴿وَرَبِّكَ﴾.

رابعا: نفي الإيمان عمن لم يقم بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم؛ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾.

خامسا: انتفاء الحرج باطنا؛ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾.

سادسا: التسليم المطلق ظاهرا؛ ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾.

سابعا: تأكيد الفعل بالمصدر؛ ﴿تَسۡلِيمٗا﴾.

ومعنى الآية الكريمة:

أن الله تعالى أقسم بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ فقوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.(70)

وقيل: إنما قدم (لا) على القسم اهتماما بالنفي، وإظهارا لقوته، ثم كررها بعده تأكيدا للتهمم بالنفي، وكان يصح إسقاط ﴿لَا﴾ الثانية، ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى، وكان يصح إسقاط الأولى ويبقى معنى النفي، ويذهب معنى الاهتمام.

فنفى عن هؤلاء أن يكونوا مؤمنين كما يزعمون في حال يظنهم الناس مؤمنين، ولا يشعر الناس بكفرهم؛ فلذلك احتاج الخبر للتأكيد بالقسم وبالتوكيد اللفظي؛ لأنه كشف لباطن حالهم.

والمقسم عليه هو الغاية، وما عطف عليها بـ﴿ثُمَّ﴾ معا، وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾.

و﴿حَتَّىٰ﴾ هنا غاية، أي: ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية، فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين.

ومعنى ﴿يُحَكِّمُوكَ﴾: يجعلوك حكما، وفي الكلام حذف التقدير: فتقضي بينهم.

و﴿شَجَرَ﴾ معناه: اختلط والتف من أمورهم، وهو من الشجر، شبه بالتفاف الأغصان، ومعنى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ عام في كل أمر وقع بينهم فيه نزاع وتجاذب (واختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة).(71)

ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، فقال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا﴾ والمعنى: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمك تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس؛ فقال تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ أي: ينقادوا ويذعنوا لقضائك في الظاهر لا يعارضون فيه بشيء، ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك.

وقوله: ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ مصدر مؤكد، منبئ على التحقيق في التسليم؛ لأن العرب إنما تردف الفعل بالمصدر إذا أرادت أن الفعل وقع حقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]، والمعنى: فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، فقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ المراد به الانقياد في الباطن، وقوله تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ المراد منه الانقياد في الظاهر.(72)

(فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها، فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين).(73)

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

فهذه الآية خاصة بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولذا قيل: (هَذِهِ أبلغ آيَة فِي كتاب الله تَعَالَى فِي الْوَعيد)[74]، (فأما الإعراض عن حكم غير الرسول فليس بكفر، إذا جَوَّزَ المعرض على الحاكم عدم إصابته حكم الله تعالى، أو عدم العدل في الحكم).[75]

(وبيّن الله تعالى في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهرا وباطنا لما حكم به صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51] الآية).[76]

سابعًا: التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واحدة، فمن أطاع الله فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه، والانتهاء عما نهى عنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92]، وهذا الأمر أعم الأوامر؛ لأنه يدخل فيه كل أمر ونهي، ظاهر وباطن[77]، وكرر ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ في ذكر الرسول تأكيدا[78]، ثم حذر تعالى من مخالفة الأمر، وتوعد من تولى بعذاب الآخرة فقال: ﴿وَٱحْذَرُواْۚ﴾ جاء الأمر بأن يكون الناس على حذر من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الحذر مدعاة إلى عمل الحسنات واتقاء السيئات[79]، وحذف مفعول ﴿ٱحْذَرُواْ﴾ لينزل الفعل منزلة اللازم؛ لأن القصد التلبس بالحذر من الوقوع فيما يأباه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أبلغ من أن يقال واحذروهما.

وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ التولي هنا استعارة للعصيان، شبه العصيان بالإعراض والرجوع عن الموضع الذي كان به العاصي، بجامع المقاطعة والمفارقة، وقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ هو جواب الشرط باعتبار لازم معناه، والمعنى: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع ما جاءكم به نبيكم، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، وكلمة ﴿أَنَّمَا﴾ بفتح الهمزة تفيد الحصر، والمعنى أن أمره صلى الله عليه وسلم محصور في التبليغ لا يتجاوزه إلى القدرة على هدي المبلغ إليهم.

وإضافة الرسول إلى ضمير الجلالة في قوله: ﴿رَسُولِنَا﴾ تعظيم لجانب هذه الرسالة، وإقامة لمعذرته صلى الله عليه وسلم في التبليغ بأنه رسول من القادر على كل شيء، فلو شاء مرسله لهدى المرسل إليهم، فإذا لم يهتدوا فليس ذلك لتقصير من الرسول.[80]

وفي هذا من التهديد العظيم والوعيد الشديد ما لا خفاء به في حق من خالف في هذا التكليف، وأعرض فيه عن حكم الله، لأن الحجة قد قامت؛ فعقابكم إنما يتولاه المرسل لا الرسول[81]، فعلى الرسول ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾، وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب؛ بحسب ما يُعصى أو يُطاع.[82]

ووصف البلاغ بـ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ استقصاء في معذرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الإعذار للمعرضين عن الامتثال؛ فالبلاغ بين في نفسه، ومبين أحكام الله تعالى وتكاليفه؛ بحيث لا يعتريها شبهة، ومؤيدة بالحجة الساطعة.[83]

وعلى العبد أن يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به؛ فإن لم يذعن العبد لذلك استحق العذاب الأليم في الدارين، ووصفت عدم طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بعدة أوصاف منها: المعصية، والتولي، ومخالفة أمره، وجاء التوعد بعقوبات على هذا الجرم العظيم في الدارين؛ فمن عقوبات الدنيا: أن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه، والفتنة، والضلال المبين، وسبب للفشل والهزيمة، ومن عقوبات الآخرة: بطلان الأعمال، ودخول النار، والخلود فيها، والعذاب الأليم، والمهين؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: 14]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقال:﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: 47]، وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: 36]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: 33]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الفتح: 17]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

ثامنًا: التحذير من الضلال:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: 36]

هذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بشيء؛ فليس لأحد مخالفتهما، ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ"[84]؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾.[85]

تاسعًا: بيان ثمار طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدارين.

وهو ما يأتي بيانه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: من ثمار تحقيق مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

بحسب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته يجني العبد ثمار ذلك في الدارين، وهي ثمار يانعة كثيرة، ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم دعوة عامة للناس، وتشويقا لهم لطاعته تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتثبيتا للمؤمنين على طاعتهما، ومن هذه الثمار:

أولًا: طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: 80]، فقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ المراد بـ ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ نبينا صلى الله عليه وسلم، والتعبير عنه بذلك ووضعه موضع المضمر للإشعار

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

بالعلية، فمن أطاع الرسول فيما أمر به ونهى عنه؛ ﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ لأنه مبلغ إلى الخلق أحكام الله تعالى وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ولم يمدح على ذلك، وهذا من الحقوق المشتركة بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن البصري رحمه الله: (جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته، وقامت به الحجة على المسلمين)[86]، وقال الشافعي رحمه الله: (ولم يجعل لأحد من خلقه عذرًا بخلاف أمرٍ عرَفَه من أمر رسول الله، وأنْ قد جعل الله بالناس كلهم الحاجةَ إليه في دينهم، وأقام عليهم حجتَه؛ بما دلَّهم عليه من سنن رسول الله مَعَاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه)[87]، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله، وهذه الطاعة في الحقيقة لا تكون إلا بتوفيق الله، كما قال : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: 64]، (قال مجاهد: أي لا يطيع أحد إلا بإذني، يعني: لا يطيعهم إلا من وفقته لذلك)[88]، ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ عن طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا، ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا﴾ أي: تحفظ أعمالهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغا ومبينا وناصحا، وقد أديت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهتدوا أم لم يهتدوا.[89]

ثانيًا: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من أركان الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65]؛ فنفى الله تعالى عنهم الإيمان حتى يقع منهم ما ذكره تعالى في الآية الكريمة.

ثالثًا: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم من علامات صدق الإيمان:

بين الله تعالى في كتابه الكريم صفات المؤمنين؛ ومن ذلك أنهم يحكّمون النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما اختلفوا فيه ويذعنون لذلك ظاهرا وباطنا، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65]، ومن صفاتهم أنهم يطيعون الله تعالى ويطيعون رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، وقال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 71].

رابعًا: اتباعه صلى الله عليه وسلم سبب محبة الله تعالى للعبد:

علق الله تعالى لزوم اتباع الرسول على محبة الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: 31]؛ فلما لم يوجد ذلك دل على عدمها.[90]

خامسًا: اتباعه صلى الله عليه وسلم سبب من أهم أسباب مغفرة الذنوب:

إن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم سبب من أهم أسباب مغفرة الذنوب؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: 31]؛ فقوله ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ أي:

باتباعكم للرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته[91]، ومن أحبه الله غفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته.

سادسًا: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب حصول الرحمة:

من أطاع النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى سيرحمه، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: 132]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [النور: 56]، فمعنى قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، وعلق على طاعة الله وطاعة رسوله حصول الرحمة، فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ ﴾ حين تقومون بذلك ﴿تُرۡحَمُونَ﴾، ولا شك أن من فعل ذلك أن الله سيرحمهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: 71]، فمن أراد الرحمة، في الدارين؛ فهذا طريقها، ومن رجاها من دون ذلك؛ فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة.[92]

سابعًا: تعليق الهداية باتباع الرسول وطاعته صلى الله عليه وسلم:

جاء هذا في موضعين؛ الموضع الأول في سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 158]، والمعنى: فاهتدوا به واقتدوا به أيها الناس، فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب الذي هو المقصد الأصلي الموصل إلى كل خير، المنجي من كل شر، وجعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيهًا على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه؛ فهو يعد في خطط الضلالة، قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري: (من أمَّر السنة على نفسه قولا وفعلا؛ نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه؛ نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ ﴾).[93]

والمتابعة على قسمين: متابعة في الأقوال ومتابعة في الأفعال؛ أما المتابعة في الأقوال؛ فبأن يتمثل التابع جميع ما أمره به المتبوع، على طريق الأمر والنهي والترغيب والترهيب، وأما المتابعة في الأفعال؛ فبأن يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه إلا ما خُص به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالدليل أنه من خصائصه فلا متابعة فيه.[94]

والموضع الثاني في سورة النور، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: 54].

ففي هذه الآية الكريمة جعل الله تعالى الاهتداء مقرونا بطاعته صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلى الهداية إلا بطاعته صلى الله عليه وسلم؛ فتنتفي بانتفائه؛ فرغب تعالى في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم استقصاءً في الدعوة إلى الرشد.[95]

ثامنًا: الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن بعد الخوف:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 55-56].

يأمر الله تعالى المؤمنين بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين، ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني بني إسرائيل، إذ أهلك الله الجبابرة، وأورثهم أرضهم وديارهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: 137]، كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم مستضعفين خائفين، ثم إن الله تعالى أمنهم؛ فمكن لهم دينهم؛ ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ أي: يثبته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله، وقوله: ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ صفة مدح جليلة، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من العدو ﴿أَمْنًا﴾: بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم، فـ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ آمنين ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ ولا يخافون، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد هذا الوعد وارتد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.[96]

(ودلت الآية على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عن الغيب في هاتين الآيتين الكريمتين، وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر).[97]

وهذه الآية عامة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فتشمل أصحابه رضي الله عنهم، وكل من قام بنصرة دين الله على الوجه الأكمل، غير مخصوصة، إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم، والعلم عند الله تعالى[98]، (وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى مما أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم، من لدن آدم إلى زمان هذه الملة المحمدية).[99]

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، ويحسنه الخطاب في ﴿مِنكُمْ﴾، وجمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحات، فأهمها بالتصريح، وسائرها بعموم حذف المتعلق بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي في كل ما يأمركم وينهاكم، ورتب على ذلك رجاء حصول الرحمة لهم؛ فقال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: في الدنيا بتحقيق الوعد المذكور، وفي الآخرة بالدرجات العلى.[100]

تاسعًا: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب النجاة من العذاب والفتن والضلال:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، الحذر: تجنب الشيء المخيف، والمخالفة: المغايرة في الطريق التي يمشي فيها بأن يمشي الواحد في طريق غير الطريق الذي مشى فيه الآخر، والفتنة: اضطراب حال الناس[101]، والفتنة في هذا الموضع الإخبار بالرزايا في الدنيا وبالعذاب الأليم في الآخرة، ولا بد للمنافقين من أحد هذين[102]، و(الضمير في قوله: ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ راجع إلى الرسول، أو إلى الله، والمعنى واحد؛ لأن الأمر من الله، والرسول مبلغ عنه)[103]، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته؛ فدخلت ﴿عَنْ﴾

لتضمين المخالفة معنى الإعراض، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان.(104)

وكلمة ﴿أَوۡ﴾ لمنع الخلو دون الجمع؛ لأن ذلك المخالف قد يموت من دون عقاب الدنيا، وقد يعرض له ذلك في الدنيا، وإعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير(105)، أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك، أو في الآخرة.(106)

و(بهذه الآية احتج الفقهاء على أن الأمر على الوجوب، وَوَجْهُهَا أن الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمره، وتوعد بالعقاب عليها بقوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فتحرم مخالفته، فيجب امتثال أمره).(107)

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: 36]؛ فجعل تعالى أمر الله ورسوله مانعًا من الاختيار، موجبًا للامتثال، منبهًا على أن عدم الامتثال معصية في قوله بعده: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾(108)، ولا ينبغي أن يكون ﴿لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ﴾ اختيار عند حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فما أمر الله تعالى هو المتبع، وما أراد النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق، ومن خالفهما في شيء ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾؛ لأن الله تعالى هو المقصد والنبي صلى الله عليه وسلم هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعا(109)، ومعنى ﴿مُّبِينٗا﴾ أي: بَيِّنًا؛ لأنه ترك الصراط المستقيم الموصل إلى كرامة الله إلى غيره من الطرق الموصلة للعذاب الأليم؛ (فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال).(110)

عاشرًا: بطاعته صلى الله عليه وسلم يجني العباد أفضل العو اقب وأحسنها في الدارين:

إن من يحكِّمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطيعونه فيما شجر بينهم، يجنون أفضل العواقب وأحسنها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59]؛ فذكر الله تعالى الجزاء بقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ لأن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام، وأعدلها، وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.(111)

حادي عشر: الوعد بوفاء جزاء الأعمال:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14]، أي: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ ظاهرا وباطنا، سرا وعلانية؛ فتأتمروا لأمره ﴿وَ﴾ أمر ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾، وتعملوا بما فرض عليكم، وتنتهوا عما نهاكم عنه؛ ﴿ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ أي: لا يظلمكم من أجور أعمالكم ولا من ثوابها مثقال ذرة، (وضمير الرفع في ﴿يَلِتۡكُم﴾ عائد إلى اسم الله، ولم يقل: لا يلتاكم بضمير التثنية؛ لأن الله هو متولي الجزاء دون الرسول صلى الله عليه وسلم)(112)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ استئناف تعليم بأن الله يتجاوز إذا تاب العبد، وترغيب في إخلاص الإيمان؛

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

لأن الغفور كثير المغفرة شديدها، وترتيب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعد ﴿غَفُورٌ﴾؛ لأن الرحمة أصل للمغفرة وشأن العلة أن تورد بعد المعلل بها.(113)

ثاني عشر: من أهمّ أسباب الفوزبالجنان والنجاة من النيران:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13].

الحد: الحجز المانع لأمر من أن يدخل على غيره، أو يدخل عليه غيره، وبدأ تعالى بالمطيع؛ لأن الغالب على من كان مؤمنا بالله تعالى الطاعة، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عامة؛ يدخل فيها كل أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ونهيهما؛ وذلك لأن اللفظ عام فوجب أن يتناول الكل.

وفصّل الله تعالى الوعد مبالغة فيه لسبق رحمته؛ فقال تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يفنون، ولا يخرجون منها، وحمل أولا على لفظ ﴿وَمَن﴾ في قوله: ﴿يُطِعِ﴾ و ﴿يُدْخِلْهُ﴾؛ فأفرد، ثم جمع حملا على المعنى في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، ومن دخل الجنة ونجا من النار حصل له الفلاح العظيم؛ ولذا قال: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.(114)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ جعل الله تعالى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة الآخر فجمع بينهما بيانا لطاعة الله، فإن الله تعالى لو قال: ومن يطع الله، كان لبعض الناس أن يقول: نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه، فمن أين نعلم أمره حتى نطيعه؟ فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن طاعتهما ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يوم القيامة.(115)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: 52]، هذه الآية على إيجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه؛ فجمعت الآية أسباب الفوز في الدارين، (و﴿مَن﴾ شرطية عامة، وجملة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ جواب الشرط).(116)

ومعنى الآية الكريمة: أن الله تعالى ذكر فضل طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم عموما في جميع الأحوال؛ فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ فيخف عاقبة معصيته، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بترك المحظور؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما ساءه وسره، ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما عمل من الذنوب، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بعده)(117)، وحصر الله سبحانه وتعالى الفوز فيهم؛ للتعريض بالذين لم يطيعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ﵟٱلۡفَآئِزُونَﵞ، واشتملت الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى.(118)

وقال تعالى: ﵟوَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًاﵞ [الأحزاب: 71]، فقوله: ﵟوَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥﵞ فيما أمرا به ونهيا عنه، وجمع بين طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لبيان شرف فعل المطيع، وقوله تعالى: ﵟفَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًاﵞ لا يقادر قدره، ولا تبلغ غايته، وجعله عظيما من وجهين:

أحدهما: أنه نجا من عذاب عظيم؛ وأي فوز أعظم من النجاة من النار؛ كما قال: ﵟفَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗﵞ [آل عمران: 185].

الثاني: أنه وصل إلى ثواب كثير؛ وهو الثواب الدائم الأبدي، ولأنه ظفر بالكرامة العظمى من الله، والْخَيرِ العظيم كُله، فيعيش في الدنيا حميدًا.(119)

و(صيغت الجملة في صيغة الشرط وجوابه؛ لإفادة العموم في المطيعين وأنواع الطاعات، فصارت الجملة بهذين العمومين في قوة التذييل، وهذا نسج بديع من نظم الكلام؛ وهو إفادة غرضين بجملة واحدة).(120)

ثالث عشر: مر افقة الأبرار:

قال الله تعالى: ﵟوَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗاﵞ [النساء: 69-70].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة: ما جاء عن مسروق رحمه الله قال: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا، فإنك لو قد مِتَّ رُفعتَ فوقنا فلم نرك؛ فأنزل الله: ﵟوَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗاﵞ [النساء: 69].(121)

ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية الكريمة ما وعد أهل طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام من الكرامة الدائمة لديه والمنازل الرفيعة عنده؛ فقوله: ﵟوَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَﵞ بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضا بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية؛ فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ﵟمَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمﵞ النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة، بما تقصر العبارة عن تفصيله وبيانه، وبما لا يدخل في حيطة الفكر؛ إذا دخل الجنة يجعله مرافقا للأنبياء عليهم السلام ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون؛ فجعلهم الله تعالى أربعة أقسام؛ بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم.(122)

قوله تعالى: ﵟوَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗاﵞ و(ﵟحَسُنَﵞ فعل مراد به المدح ملحق بنعم، ومضمن معنى التعجب من حسنهم)(123)، وﵟرَفِيقٗاﵞ جمع رفيق، والرفيق: الصاحب، سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته، ووحد الرفيق وهو صفة الجمع؛ لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع، والعرب تضع الواحد موضع الجمع، وقيل: معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا، يعني: رفقاء الجنة.(124)

ومعنى ذلك أنهم معهم أي في دار واحدة، ومتنعم واحد، بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بعد المكان؛ لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا، وإذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا عليه، وكل من فيها قد رزق الرضا بحاله، وذهب عنه أن يعتقد أنه مفضول، وإن كنا نحن قد علمنا من الشريعة أن أهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر أعمالهم، وعلى قدر فضل الله على من شاء، وليس المراد بكون ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ مع ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ كون الكل في درجة واحدة؛ لأن هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول، وهذا لا يجوز.(125)

و(خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ، فهذه الآية عامة في حق جميع المكلفين، وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول؛ فقد فاز بالدرجات العالية، والمراتب الشريفة عند الله تعالى).(126)

وفي الآية الكريمة مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرًا، والاجتماع بهم في جنات النعيم، والأنس بقربهم في جوار رب العالمين؛ وفي الحديث "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". (127)

ثم قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف الثواب، (وجيء باسم الإشارة في جملة جواب الشرط؛ للتنبيه على جدارتهم بمضمون الخبر عن اسم الإشارة)(128)، ﴿ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ يعني رحمته، وهو الذي أهلهم لذلك وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ يعني: عليم بجزاء من أطاعه، وبمقادير الفضل، وثواب الآخرة، وبمن يستحق الهداية والتوفيق لطاعته، وبمن أطاع رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم نالوا تلك الدرجة بفضل الله عز وجل ورحمته؛ ويدل عليه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا".(129)

النتائج:

1-يراد بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ الائتمار بأمره ونهيه، والانقياد له صلى الله عليه وسلم.

2-ورد الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعا، في خمس عشرة سورة هي: آل عمران والنساء والمائدة والأعراف والأنفال والتوبة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والمجادلة والحشر والتغابن والجن؛ وبيانها كالتالي:

أ-إعادة الأمر بالطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ جاء هذا في خمسة مواضع، في خمس سور هي: النساء، والمائدة، والنور، ومحمد، والتغابن.

ب-الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم منفردًا؛ وجاء هذا في موضع واحد، في سورة النور.

ت-جعل الله تعالى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واحدة؛ وجاء هذا في أربعة مواضع، في سورتين هما: الأنفال، والمجادلة.

ث-جاء لفظ الرسول معرفا بالألف واللام، ومظهرًا دون ضمير عائد إلى الله تعالى؛ وجاء هذا في موضعين، من سورة آل عمران.

ج- الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتأسي به؛ وجاء هذا في أربعة مواضع، في أربع سور هي: آل عمران، والأعراف، والأحزاب، والحشر.

ح- نفي الإيمان عمن لم يذعن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجد في نفسه حرجًا من ذلك باطنًا، ويسلم ظاهرًا؛ وجاء هذا في موضع واحد، في سورة النساء.

خ-التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وجاء هذا في أحد عشر موضعًا في ثمان سور هي: النساء، والمائدة، والأنفال، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والجن.

د-التحذير من الضلال؛ وجاء هذا في موضعين، في سورتي النور، والأحزاب.

ذ-بيان ثمار طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدارين، وجاء هذا في عدة مواضع في تسع سور هي: آل عمران، والنساء، والأعراف، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، والفتح، والحجرات.

3-وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم عصيانه.

4-ظهور مقصد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وتجليه في آياته.

5- سلك القرآن الكريم في تحقيق ذلك المقصد أساليب متنوعة ومتعددة، ومن أبرزها:

أ-إعادة الأمر بالطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

ب-الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم منفردًا.

ت-جعل الله تعالى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واحدة.

ث-الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتأسي به.

ج-التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

6-بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم يجني العبد ثمارا طيبة دنيوية وأخروية، ومن أهمها: أن طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى، وطاعته صلى الله عليه وسلم من أركان الإيمان، ومن علامات صدقه، وسبب محبة الله تعالى للعبد، ومن أهم أسباب مغفرة الذنوب، وحصول الرحمة، والهداية، والاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن بعد الخوف، ومن أسباب النجاة من العذاب والفتن والضلال، ومن أهمّ أسباب الفوز بالجنان والنجاة من النيران، ومرافقة الأبرار.

التوصيات:

1- أوصي بتعليم الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح؛ الدالة على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر باتباعه، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم، ونشرها في جميع المجتمعات عبر الوسائل المتاحة.

2-أوصي بعمل تطبيقات في الأجهزة المحمولة تبصر بوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر مواطن وأحوال أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم.

الهوامش الإحالات

(1)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 5/ 95، والراغب الأصفهاني، المفردات: 672.

(2)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 5/95؛ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 672؛ ابن منظور، لسان العرب: 3/ 353.

(3)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 3/ 431.

(4)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 3/ 431؛ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 529.

(5)الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 529؛ الكفوي، الكليات: 583.

(6)الكفوي، الكليات: 583.

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

(7)الكفوي، الكليات: 583؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 303.

(8) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 419؛ ابن منظور، لسان العرب: 1/ 473؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 210؛ الكفوي، الكليات: 82.

(9) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 1/ 388.

(10)ابن منظور، لسان العرب: 106/4؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 285.

(11)الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 176؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 285؛ الكفوي، الكليات: 323.

(12) رواه: الترمذي، سنن الترمذي: 332/3، أبواب الْجَنَائِزِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فَضْلِ المُصِيبَةِ إِذَا احْتَسَبَ، ح(1021)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني. ابن منظور، لسان العرب: 4/ 106.

(13) ابن بطة، الإبانة: 1/ 260.

(14) الآجري، الشريعة: 1/ 411.

(15) ابن قاسم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 19/ 103.

(16) الطبري، جامع البيان: 7/ 174.

(17) نفسه: 7/ 175.

(18) رواه: البخاري، صحيح البخاري: 61/9، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ح(7137)؛ مسلم، صحيح مسلم: 1466/3، كِتَابُ، الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، ح(1835). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 345.

(19) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 183.

(20) رواه: البخاري، صحيح البخاري: 63/9، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، ح(7145)؛ مسلم، صحيح مسلم: 1469/3، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، باب وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، ح(1840).

(21) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 345. رواه: مسلم، صحيح مسلم: 3/ 1469، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، ح(1840).

(22) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 97.

(23) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 183.

(24) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 71.

(25) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان: 7/ 551.

(26)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 345.

(27)نفسه ، والصفحة نفسها.

(28)ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 71.

(29)ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 345؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 183.

(30)ينظر: الطبري، جامع البيان: 17/ 350؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 81.

(31)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 289.

(32)البيضاوي، أنوار التنزيل:4 / 113.

(33)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 289.
(34)ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان: 6/ 275.
(35)الطبري، جامع البيان: 11/ 214.
(36)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 315.
(37)ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 500، السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 847.
(38)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 32.
(39)أبو حيان، البحر المحيط: 3/ 104.
(40)الآلوسي، روح المعاني: 2/ 126.
(41)ينظر: الرازي، التفسير الكبير: 8/ 198؛ ابو حيان، البحر المحيط: 3/ 104.
(42) أورده: البخاري، صخيح البخاري: 9/ 107، كِتَابُ: الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، في ترجمة بَابُ إِذَا اجْتَهَدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلاَفَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ؛ فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"؛ مسلم، صحيح مسلم: 3/1343، كتاب الأقضية، بَاب نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، ح(1718).
(43)تفسير القرآن العظيم: 2/ 32.
(44)الرازي، التفسير الكبير للرازي: 8/ 198.
(45)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 32.
(46)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 128.
(47)الخازن، لباب التأويل: 1/ 296.
(48)الطبري، جامع البيان: 5/ 325.
(49)الشنقيطي، أضواء البيان للشنقيطي: 5/ 584.
(50)ينظر: الخازن، لباب التأويل: 1/ 238؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 128؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 228.
(51)أبو حيان، البحر المحيط: 3/ 103.
(52)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 228.
(53)الشنقيطي، أضواء البيان: 1/ 327.
(54)ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 5/ 197؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 491؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 305.
(55)أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 466.
(56)ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 377؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 228؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302.
(57)البغوي، معالم التنزيل: 3/ 624؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 155.
(58)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302؛ وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 228.
(59)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 661.
(60)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 661؛ وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 228؛ أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 466؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302.

(61)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 391.

(62)الآلوسي، روح المعاني: 11/ 165؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 661.

(63)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302.

(64)نفسه، والصفحة نفسها.

(65)ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 377.

(66)البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 228.

(67)الرازي، التفسير الكبير: 29/ 507؛ أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 141؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 67؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 851. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 87.

(68)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 57.

(69)الشنقيطي، أضواء البيان: 7/ 512.

(70)الطبري، جامع البيان: 7/ 200.

(71)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 184.

(72)ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 74؛ الرازي، التفسير الكبير: 10/ 128؛ أبو حيان، البحر المحيط: 3/ 695؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 349؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 184؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 110.

(73)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 184.

(74)السمعاني، تفسير القرآن: 1/ 444.

(75)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 110؛ وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 5/ 267.

(76)الشنقيطي، أضواء البيان: 1/ 394.

(77)ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 243.

(78)ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 234.

(79)أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 359.

(80)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 30.

(81)ينظر: الرازي، التفسير الكبير: 12/ 426؛ أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 359.

(82)ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 234.

(83)أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 359؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 30.

(84)رواه: ابن أبي عاصم، السنة: 1/ 12؛ البغوي، شرح السنة: 1/213؛ الأصفهاني، الحجة في بيان المحجة: 1/ 269؛ وقال النووي رحمه الله: (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح)، الأربعون النووية: 113.

(85)ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 423.

(86)الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط: 6/ 618.

(87)الشافعي، الرسالة للشافعي: 104.

(88)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 347.

(89)ينظر: الرازي، التفسير الكبير:10/ 149؛ الخازن، لباب التأويل: 1/ 401؛ الآلوسي، روح المعاني: 3/ 88؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 189.

(90)ينظر: الخازن، لباب التأويل: 1/ 238؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 128؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 228.

(91)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 32.

(92)ينظر: الطبري، جامع البيان: 17/ 350؛ البغوي، معالم التنزيل: 3/ 427؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 113؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 81؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 148، 573؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 289.

(93)الأصبهاني، حلية الأولياء: 10/ 244؛ البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 1/ 145؛ الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة: 2/ 486.

(94)الخازن، لباب التأويل: 2/ 259؛ وينظر: الطبري، جامع البيان: 10/ 500؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 38.

(95)ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام: 12/ 296؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 112؛ الخازن، لباب التأويل: 3/ 302؛ الآلوسي، روح المعاني للآلوسي: 9/ 392؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 572؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 281).

(96)الرازي، التفسير الكبير: 24/ 412؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 299؛ أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 65.

(97)الرازي، التفسير الكبير: 24/ 413.

(98)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 299؛ الشنقيطي، أضواء البيان: 5/ 767.

(99)أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 65.

(100)ابو حيان، البحر المحيط: 8/ 66؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 289.

(101)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 311.

(102)ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 198.

(103)الشنقيطي، أضواء البيان: 6/ 280.

(104)ينظر: الرازي، التفسير الكبير: 24/ 425؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 89.

(105)ينظر: الرازي، التفسير الكبير: 24/ 427؛ الآلوسي، روح المعاني: 9/ 416.

(106)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 89.

(107)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 322.

(108)الشنقيطي، أضواء البيان: 5/ 263.

(109)الرازي، التفسير الكبير: 25/ 169.

(110)السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 665.

(111)ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 345؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 183.

(112)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 266.

(113)الطبري، جامع البيان: 21/ 392؛ الخازن، لباب التأويل للخازن: 4/ 185؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 802؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26 / 266.

(114)ينظر: الطبري، جامع البيان: 6/ 490؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 20؛ الرازي، التفسير الكبير: 9/ 526، البيضاوي، أنوار التنزيل للبيضاوي: 5/ 129؛ ابو حيان، البحر المحيط: 3/ 550؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن للسعدي: 171.

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

(115)ينظر: الطبري، جامع البيان: 21/ 271؛ الرازي، التفسير الكبير: 28/ 79؛ السعدي، تيسير الكريم: 793.

(116)ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 276.

(117)البغوي، معالم التنزيل: 6/ 56.

(118) ينظر: الطبري، جامع البيان: 17/ 343؛ البغوي، معالم التنزيل: 3/ 424؛ الرازي، التفسير الكبير: 24/ 411؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 295؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 112؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 75؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 572؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 275.

(119) ينظر: جامع البيان: 19/ 196؛ السمعاني، تفسير القرآن: 4/ 311؛ البغوي، معالم التنزيل: 3/ 668؛ الرازي، التفسير الكبير: 25/ 186؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 253؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 240؛ الخازن، لباب التأويل: 3/ 438؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم:6/ 487؛ الآلوسي، روح المعاني: 11/ 270.

(120) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 123.

(121) رواه: الطبري، جامع البيان: 7/ 214؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 3/ 997؛ وينظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن: 165؛ ابن حجر، العجاب: 2/ 913.

(122) الطبري، جامع البيان: 7/ 210؛ السمعاني، تفسير القرآن: 1/ 446؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/ 82؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 353.

(123) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 116.

(124) ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 1/ 659؛ الخازن، لباب التأويل: 1/ 397.

(125)ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 76؛ الرازي، التفسير الكبير: 10/ 133.

(126) الرازي، التفسير الكبير: 10/ 132.

(127) رواه: البخاري، صحيح البخاري: 40/8، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللهِ عز وجل لِقَوْلِهِ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، ح(6171)؛ مسلم، صحيح مسلم: 2032/4، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ح(2639)، وهذا لفظ الإمام البخاري. ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/ 82؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 185.

(128) ابن عاشور، التحرير والتنوير:5/ 116.

(129) رواه: البخاري، صحيح البخاري: 98/8، كتاب الرقاق، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، ح(6463)؛ مسلم، صحيح مسلم: 2169/4، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة اللَّهِ تَعَالَى، ح(2816)، وهذا لفظ الإمام البخاري. ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 1/ 660؛ الخازن، لباب التأويل: 1/ 397؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 357؛ الآلوسي، روح المعاني: 3/ 72، 3/ 82.

المراجع:

القرآن الكريم.

الآجُرِّيُّ، م. (2021). *الشريعة، لمحمد الآجُرِّيُّ* (عادل آل حمدان، تحقيق؛ ط.1). دار اللؤلؤة.

الأصفهاني، إ. (1999). *الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة* (محمد المدخلي، محمد أبو رحيم، تحقيق؛ ط.2). دار الراية السعودية.

الأصفهاني، أ. (د.ت). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. مطبعة السعادة.
الآلوسي، م. (1415). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (علي عطية، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.
البخاري، م. (1311). *صحيح البخاري* (جماعة من العلماء، تحقيق). المطبعة الكبرى الأميرية.
ابن بَطَّة، ع. (د. ت). *الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة* (رضا معطي، عثمان الأثيوبي، يوسف الوابل، الوليد بن سيف النصر، حمد التويجري، تحقيق). دار الراية للنشر والتوزيع.
البغدادي، أ. (1996). *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع* (محمد الخطيب، تحقيق؛ ط.3). مؤسسة الرسالة.
البغوي، ح. (1983). *شرح السنة* (شعيب الأرنؤوط، محمد الشاويش، تحقيق؛ ط.2). المكتب الإسلامي.
البغوي، ح. (1420). *معالم التنزيل في تفسير القرآن* (عبد الرزاق المهدي، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.
البيضاوي، ع. (1418). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (محمد المرعشلي، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.
الترمذي، م. (1975). *سنن الترمذي* (أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، تحقيق؛ ط.2). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
ابن تيمية، أ. (2004). *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* (عبد الرحمن ابن قاسم، وولده محمد، جمع وترتيب). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
ابن أبي حاتم، ع. (1419). *تفسير القرآن العظيم* (أسعد الطيب، تحقيق؛ ط.3). مكتبة نزار الباز.
ابن حجر، أ. (د.ت). *العجاب في بيان الأسباب* (عبد الحكيم الأنيس، تحقيق). دار ابن الجوزي.
أبو حيان، م. (1420). *البحر المحيط* (صدقي محمد جميل، تحقيق). دار الفكر.
الخازن، ع. (1415). لباب التأويل في معاني التنزيل. دار الكتب العلمية.
الرازي، م. (1420). *التفسير الكبير* (ط.3). دار إحياء التراث العربي.
الراغب الأصفهاني، ح. (1412). *المفردات في غريب القرآن* (صفوان الداودي، تحقيق؛ ط.1). دار القلم، الدار الشامية.
السعدي، ع. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (عبد الرحمن اللويحق، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.
السمعاني، م. (1997). *تفسير القرآن* (ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، تحقيق؛ ط.1). دار الوطن.
السمين الحلبي، أ. (1996). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ* (محمد عيون السود، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.
الشافعي، م. (1938). *الرسالة* (أحمد شاكر، تحقيق؛ ط.1). مصطفى البابي الحلبي وأولاد.
الشنقيطي، م. (2019). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* (ط.5). دار عطاءات العلم.
الطبري، م. (2001). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (عبد الله التركي، تحقيق؛ ط.1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.
ابن عاصم، أ. (1400). *السنة* (محمد الألباني، تحقيق؛ ط.1). المكتب الإسلامي.
ابن عطية، ع. (1422). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (عبد السلام عبد الشافي، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.
ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق). دار الفكر.
القرطبي، م. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، تحقيق؛ ط.2). دار الكتب المصرية.
ابن كثير، إ. (1999). *تفسير القرآن العظيم* (سامي السلامة، تحقيق؛ ط.2). دار طيبة للنشر والتوزيع.
الكفوي، أ. (د.ت). *الكليات* (عدنان درويش، ومحمد المصري). مؤسسة الرسالة.

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

مسلم، ح. (1955). *صحيح مسلم* (محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ابن منظور، م. (1414). لسان العرب. دار صادر.

النووي، ي. (2009). *الأربعون النووية* (قصي الحلاق، أنور الشيخي، تحقيق؛ ط.1). دار المنهاج للنشر والتوزيع..

الواحدي، ع. (1430). *التَّفْسِيرُ البَسِيْط- مجموعة رسائل علمية* (عمادة البحث العلمي، تحقيق؛ ط.1). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الواحدي، ع. (1992). *أسباب نزول القرآن* (عصام الحميدان، تحقيق؛ ط.2). دار الإصلاح.

References

The Qur'an.

Al-Ājurrī, M. (2021). *Al-Sharīʿa* (ʿĀdil Āl Ḥamdan, Ed.; 1st ed.). Dār al-Luʾluʾa.

Al-Aṣfahānī, I. (1999). *Al-Ḥujja fī bayān al-maḥajja wa-sharḥ ʿaqīdat ahl al-sunna* (Muḥammad al-Madkhalī & Muḥammad Abū Raḥīm, Eds.; 2nd ed.). Dār al-Rāya al-Suʿūdiyya.

Al-Aṣfahānī, A. (n.d.). *Ḥilyat al-awliyāʾ wa-ṭabaqāt al-aṣfiyāʾ*. Maṭbaʿat al-Saʿāda.

Al-Ālūsī, M. (1994 [1415 AH]). *Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm wa-l-sabʿ al-mathānī* (ʿAlī ʿAṭiyya, Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-Bukhārī, M. (1893 [1311 AH]). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (A group of scholars, Eds.). Al-Maṭbaʿa al-Kubrā al-Amīriyya.

Ibn Baṭṭa, ʿA. (n.d.). *Al-Ibāna ʿan sharīʿat al-firqa al-nājiyya wa-mujānabat al-firaq al-madhmūma* (Riḍā Muʿṭī, ʿUthmān al-Athīūbī, Yūsuf al-Wābil, al-Walīd ibn Sayf al-Naṣr, & Ḥamad al-Tuwayjirī, Eds.). Dār al-Rāya li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ.

Al-Baghdādī, A. (1996). *Al-Jāmiʿ li-akhlaq al-rāwī wa-ādāb al-sāmiʿ* (Muḥammad al-Khaṭīb, Ed.; 3rd ed.). Muʾassasat al-Risāla.

Al-Baghawī, Ḥ. (1983). *Sharḥ al-sunna* (Shuʿayb al-Arnaʾūṭ & Muḥammad al-Shāwish, Eds.; 2nd ed.). Al-Maktab al-Islāmī.

Al-Baghawī, Ḥ. (1999 [1420 AH]). *Maʿālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qurʾān* (ʿAbd al-Razzāq al-Mahdī, Ed.; 1st ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Bayḍāwī, ʿA. (1997 [1418 AH]). *Anwār al-tanzīl wa-asrār al-taʾwīl* (Muḥammad al-Marʿashlī, Ed.; 1st ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Tirmidhī, M. (1975). *Sunan al-Tirmidhī* (Aḥmad Shākir, Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, & Ibrāhīm ʿAṭwa, Eds.; 2nd ed.). Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.

Ibn Taymiyya, A. (2004). *Majmūʿ fatāwā Shaykh al-Islām Ibn Taymiyya* (ʿAbd al-Raḥmān ibn Qāsim & his son Muḥammad, Comp. & Arr.). Mujammaʿ al-Malik Fahd li-Ṭibāʿat al-Muṣḥaf al-Sharīf.

Ibn Abī Ḥātim, ʿA. (1998 [1419 AH]). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm* (Asʿad al-Ṭayyib, Ed.; 3rd ed.). Maktabat Nizār al-Bāz.

Ibn Ḥajar, A. (n.d.). *Al-ʿAjāb fī bayān al-asbāb* (ʿAbd al-Ḥakīm al-Anīs, Ed.). Dār Ibn al-Jawzī.

Abū Ḥayyān, M. (1999 [1420 AH]). *Al-Baḥr al-muḥīṭ* (Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Ed.). Dār al-Fikr.

Al-Khāzin, ʿA. (1994 [1415 AH]). *Lubāb al-taʾwīl fī maʿānī al-tanzīl*. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-Rāzī, M. (1999 [1420 AH]). *Al-Tafsīr al-kabīr* (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Ḥ. (1991 [1412 AH]). *Al-Mufradāt fī gharīb al-Qurʾān* (Ṣafwān al-Dāwūdī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Qalam; al-Dār al-Shāmiyya.

Al-Saʿdī, ʿA. (2000). *Taysīr al-karīm al-raḥmān fī tafsīr kalām al-manān* (ʿAbd al-Raḥmān al-Luwayḥiq, Ed.; 1st ed.). Muʾassasat al-Risāla.

Al-Samʿānī, M. (1997). *Tafsīr al-Qurʾān* (Yāsir ibn Ibrāhīm & Ghunaym ibn ʿAbbās, Eds.; 1st ed.). Dār al-Waṭan.

Al-Samīn al-Ḥalabī, A. (1996). *ʿUmdat al-ḥuffāẓ fī tafsīr ashraf al-alfāẓ* (Muḥammad ʿUyūn al-Sūd, Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-Shāfiʿī, M. (1938). *Al-Risāla* (Aḥmad Shākir, Ed.; 1st ed.). Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlād.

Al-Shanqīṭī, M. (2019). *Aḍwāʾ al-bayān fī īḍāḥ al-Qurʾān bi-l-Qurʾān* (5th ed.). Dār ʿAṭāʾāt al-ʿIlm.

Al-Ṭabarī, M. (2001). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān* (ʿAbd Allāh al-Turkī, Ed.; 1st ed.). Dār Hajr li-l-Ṭibāʿa wa-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ.

Ibn ʿĀshūr, M. (1984). *Al-Taḥrīr wa-l-tanwīr*. Al-Dār al-Tūnisiyya li-l-Nashr.

Ibn ʿĀṣim, A. (1980 [1400 AH]). *Al-Sunna* (Muḥammad al-Albānī, Ed.; 1st ed.). Al-Maktab al-Islāmī.

Ibn ʿAṭiyya, ʿA. (2001 [1422 AH]). *Al-Muḥarrar al-wajīz fī tafsīr al-kitāb al-ʿazīz* (ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Ibn Fāris, A. (1979). *Maʿjam maqāyīs al-lugha* (ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Ed.). Dār al-Fikr.

Al-Qurṭubī, M. (1964). *Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* (Aḥmad al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭfīsh, Eds.; 2nd ed.). Dār al-Kutub al-Miṣriyya.

Ibn Kathīr, I. (1999). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm* (Sāmī al-Salāma, Ed.; 2nd ed.). Dār Ṭayba li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ.

Al-Kafawī, A. (n.d.). *Al-Kulliyyāt* (ʿAdnān Darwīsh & Muḥammad al-Miṣrī, Eds.). Muʾassasat al-Risāla.

Muslim, Ḥ. (1955). *Ṣaḥīḥ Muslim* (Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, Ed.). Maṭbaʿat ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāʾuh.

Ibn Manẓūr, M. (1994 [1414 AH]). *Lisān al-ʿArab*. Dār Ṣādir.

Al-Nawawī, Y. (2009). *Al-Arbaʿūn al-Nawawiyya* (Quṣayy al-Ḥallāq & Anwar al-Shaykhī, Eds.; 1st ed.). Dār al-Minhāj li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ.

Al-Wāḥidī, ʿA. (2009 [1430 AH]). *Al-Tafsīr al-basīṭ – A collection of academic theses* (ʿImādat al-Baḥth al-ʿIlmī, Ed.; 1st ed.). Jāmiʿat al-Imām Muḥammad ibn Saʿūd al-Islāmiyya.

Al-Wāḥidī, ʿA. (1992). *Asbāb nuzūl al-Qurʾān* (ʿIṣām al-Ḥumaydān, Ed.; 2nd ed.). Dār al-Iṣlāḥ.

(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864